منهج الخليل إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى

الأستاذ الدكتور

نجاح عبد الله البياع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيات أعمالنا .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيرا .

تقديم :

إن دعوة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه تمتاز بأنها دعوة حق وخير ... للأفراد ... والجماعات ... ومع ذلك لم تكن أكثر النفوس البشرية أجهزة استقبال صحيحة على الوجه الأكمل ... بل كان فيها أصحاب النفوس السقيمة ... الشريرة وهؤلاء كثر ... وكان فيها النفوس المؤمنة وهؤلاء قلة وهذه هي سنة الله عز وجل – في خلقه فلقد خلق الشر بجوار الخير .. وأوجد إبليس بجوار آدم ... والضد يظهر حسنه الضد... وهذا بالطبع أنشأ صراعا بين الحق والباطل .

طبيعة الصراع :

إن الصراع بين الحق والباطل بدأ منذ اللحظة الأولى لخلق الإنسان وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وطبيعة هذا الصراع تفرض استمراره لماذا ؟؟

لأنهما متناقضان فلا يجتمعان ... ثم إن وجود أحدهما نفى للآخر... ومن ثم فكل يثبت وجوده ... إذا الحرب بينهما سجال مستمرة ولعلك تسأل لماذا خلق الله الخير والباطل ؟؟

فأسارع بالإجابة قائلا إنك لا تعرف قيمة النهار إلا إذا جاء الليل... وبالعكس .. ولا تدرك جمال الخير إلا بمعرفة الشر وقبحه ... هذه المعرفة هي التي تعمل وتؤهل هذه المعاني في النفس البشرية ... ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان أن أرسل له الرسل عليهم صلوات الله وسلامه تأخذ بيده إلى الصراط المستقيم وتدعوه إليه بأسلوب مهذب مشروع من رب

العالمين لا مكر فيه ولا خداع ... ولا غش ولا حقد ... بل الكل يحرص على هداية هذا الإنسان بأسلوب ينصح ولا يجرح ويبني ولا يهدم ... وهذا هو منهج الرحمن في هداية الإنسان ولعل في ذكر طرف من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام من خلال سورة مريم ما يوضح لنا كيف كان أدب الحوار بين الآباء والأبناء وكيفية جدال الداعي في إبطال الشرك مع حساسية موقفه عليه السلام وها هو حديث القرآن الكريم عن دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه عليه السلام ومن أصدق من الله حديثا ... ومن أصدق من الله قيلا ... لا أحد بالطبع .

قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (١)

مناسبة الآيات لما قبلها :

لعلك تدرك عند قراءة العنوان أنني مفسر كلا ولكنني أستأنس بذلك ليساعدني على فهم الآيات ، يضاف إلى ذلك أنه ما من شئ إلا وله مناسبة .... وغريزة حب الاستطلاع تستوضح مناسبة هذه الآيات لما

(١) سورة مريم : الآيات ٤١ – ٥٠ .

قبلها .... إن هذه الآيات تتحدث عن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه فقط ولم تذكر طرفا من دعوته مع قومه ولا أى موقف آخر ... وهذا ما انفردت به سورة مريم عن غيرها ... وهو راجع فى نظرى إلى أن الحق تبارك وتعالى لما تحدث فيما سبق من آيات عن ما زعمه النصارى فى شأن عيسى ابن مريم وأبطله الحق تبارك وتعالى جاء بقصة إبراهيم ليدحض شرك أبيه الذى يضع الأصنام ... ويكون بذلك منهج وأسلوب تعليم وتوجيه ... له ولقومه .. من بعده .

وهى تمثل لرسول الله سيدنا محمد ﷺ صورة للصراع بين المؤمنين والكافرين وبين الابن الداعية وأبيه المدعو .

وكيفية تحمل الابن الداعية إبراهيم إلحاح مواجهة والده لصالح الدعوة فكانت بالحكمة لا باللكمة وباللين لا بالقسوة وبالرحمة لا بالملحمة

يقول الرازى :

(لما بين تعالى ضلال النصارى فى عيسى ابن مريم تكلم فى ضلال عبدة الأصنام فقال [واذكر] والواو حرف عطف على قوله : [ذكر رحمه ربك عبده زكريا] كأنه لما انتهت قصة عيسى وزكريا عليهما السلام قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال إبراهيم وإنما أمر بذكره لأنه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشتغلين بالعلم . ومطالعة الكتب فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك إخبارا عن الغيب ومعجزا قاهرا دالا على نبوته)(١)

ابتلاء إبراهيم عليه السلام بأبيه :

ابتلى إبراهيم عليه السلام بوالد يصنع الأصنام فضلا عن عبادتها ... انظر طبيعة طرفى النزاع ..

الداعى : ابن ، والمدعو : أب إنها أخطر قضية فى الحياة .. لقد تحمل سيدنا إبراهيم عليه السلام .. الصاعب وشق الطريق شقا فى دعوة أبيه

---
(١) تفسير الفخر الرازى : ج١١ ص ٢٢٢ .

بالمنهج المشروع من رب العالمين ... وكانت المواجهة قدر إبراهيم ﷺ مع أبيه .. إنه موقف حساس ولكننا نتعلم منه كيف كان ادب الحوار بين الابن وأبيه وكيف كان الإبتلاء ... لقد سأل رجل الإمام الشافعى ﷺ " فقال يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى فقال الشافعى لا يمكن حتى يبتلى فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة " (١)

من هو المدعو ؟؟

إنه والد إبراهيم ﷺ بنص القرآن الكريم يقول : قال : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين"(٢) والظاهر من الآية أن إبراهيم دعا والده المدعو آزر ، ويؤيد ذلك أيضا السنة النبوية ... حيث يقول الرسول ﷺ : " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم اقل لك لا تعص فيقول أبوه اليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد " فيقول الله تعالى إنى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار " (٣)

وأنذر عشيرتك الأقربين

هذا امر من الله لرسوله سيدنا محمد ﷺ بأن ينذر عشيرته بدعوته.. إلى توحيد الله ﷻ وعبادته .. وترك من سواه .. ولم يكن سيدنا محمد ﷺ بدعا من الرسل فها هو إبراهيم ﷺ فى أول جولة من جولات الدعوة .. تكون بإنذار عشيرته الأقربين بدعوته لأبيه إلى التوحيد ..

---

(١) الفوائد : لابن القيم ص ٢٢٢ - دار التقوى .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم : ٧٢ .

(٣) فتح البارى : شرح صحيح البخارى ج٧ ص ١٩٧ .

بصيرة في الدعوة :

إن منهج الأنبياء جميعا هو أن يبدأوا الدعوة بإنذار العشيرة وهذا أدعى لدخول الخير فى الدعوة .. فهم أولى الناس بالهداية .. والرعاية والرشاد . وهى سنة من السنن العامة لمنهج الرسل فى الدعوة إلى الله تعالى . حقا إن دعوة الأقربين فيها حساسية ولكنه قدر الأنبياء جميعا .. كما أنه قدر الدعاة .. الذين ساروا على منهاج الأنبياء ولا يغيب عنا المنهج المشروع من رب العالمين الحكمة .. والموعظة الحسنة .. اللين والرحمة .. المجادلة بالتي هى أحسن ..

ونحن ندعو الأقربين من المعلوم أن أحق الناس باهتمامك هم أهلك وإخوانك فالواجب على الداعى إن ينقذ عشيرته من الضلال ، ولا يكن سيفا مسلطا .. على رقابهم .. بل يجعل الأمر باختيارهم (فهل أنتم مسلمون) .

على الداعية البلاغ .. من أحق الناس بحسن صحابتي روى البخاري فى صحيحة (أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول من أحق الناس بحسن الصحبة منى ؟؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم ابوك ثم أدناك أدناك (١) فعليك أيها الداعية .. أن تبدأ الدعوة بهؤلاء .. وإذا سول لك الشيطان أن تتخاذل عن القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. فاعلم أنك خائن للدعوة ولن تفلت من قبضة الله ﷻ فعلينا البلاغ وعلى الله الحساب ... ومن نوقش الحساب عذب ...

وهذا يظهر حكمة الداعية ولباقته .. أنه يبدأ بأقاربه إنه داعية فطن ولبيب وصدق الرسول حيث يقول : " إن الرائد لا يكذب أهله " (٢) كثير من الدعاة يكذبون علي أهليهم ... مع أن الله يقول : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (٣)

---

(١) فتح البارى : شرح صحيح البخارى ج٢٢ ص ٤ أدناك أدناك أى الأقرب فالأقرب

(٢) المعجم الكبير : للطبرانى ج٣ ص ١٦٢ – طبعة دار الحرمين بالقاهرة – وعون المعبود ج١ ص ١١ .

(٣) سورة طه : آية رقم : ١٣٢ .

إن إبراهيم لم يكره والده على الإيمان به وبدعوته ... ولكنه تدرج فى إقناعه ... بالأدلة العقلية والنقلية والبراهين المنطقية ... كى يصل الإيمان إلى قلب والده ... فلفت نظره إلى التغير فى أحوال هذه الأصنام ... التى لا تسمع ... ولا تبصر ... ولا تعقل ... إلخ كى يدرك الوالد أن الذى لا يغير هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد ... (وهو الشاهد الذى لا يغيب ولا يستخلف أحدا على تدبير ملكه ، ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج خلقه وهو مرسل الرسل ، ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت وهو صمد قدوس سلام له الكمال المطلق من جميع الوجوه) (١) لقد دعا إبراهيم إلى توحيد الله عز وجل ولكن آزر تنكب الطريق المستقيم واتبع هواه ... حتى صار أمره فرطا ...

مظاهر اللين

يا أبت تكرر هذا النداء فى الآيات آنفة الذكر أربع مرات إنه نداء يفيض رقة ورفقا وحنانا وعطفا وحبا وحكمه ... إنه عليه السلام يناديه بما يحب كل أب أن ينادى به لقد استهل خطابه عليه السلام : (بتذكيره برابطة الأبوة وهى رابطة من أقوى الروابط من شأنها أن تجعل كلا من المترابطين جد حريص على مصلحة صاحبه ، ومن ناحية أخرى يحاول نبى الله إبراهيم أن يكسر بذلك الأسلوب الجذاب حدة أبيه ، حتى يستطيع أن يبلغه رسالة الله ، ويقيم عليه حجته ، وهو هادئ غير ساثر بعد أن ناداه بذلك الأسلوب الموجب للحنان والعطف) (٢)

إن إبراهيم ﷺ يهز فى المدعو غريزة الأبوة فى كيان نفسه كى تدفعه إلى تصديقه والإيمان بدعوته .

إنه يحاول أن يفتح أقفال القلوب بمفتاح اللين والتلطف فى الخطاب ... والأدب فى الحوار ...

(١) هداية الحيارى فى الرد على أجوبة اليهود والنصارى : لابن القيم ص ٩٥ بتصرف
(٢) دعوة الرسل : محمد العدوى ص ٥١

ويلاحظ أن الدعوة تحتاج إلى خلق ... وإلى علم .. وإلى رحمة ومودة وحب ... وإلى عطف ... يكنه الداعية فى نفسه للمدعو .

هاهو إبراهيم ﷺ يوقر والده الكبير ذا شيبة شابت فى الكفر والعياذ بالله ... ولكن ها هى نفسية إبراهيم الداعية المرسل من الله عز وجل إنه يعلم علم اليقين أن الكلمة الجارحة هى من أخطر القضايا التى تسبب المرض النفسى للمدعو ... ولذلك اجتنبها وهو يضرب لنا المثل كى نمتلك ناصية المدعو .. وزمام الأمور فنتعمق فى أسرار النفس البشرية .. فنعرف أن مفتاحها هو التذكير لا التدمير .. والنصيحة لا الفضيحة .. والقول اللين لا القول السيئ .. وهاهو رسولنا ﷺ يلتقى مع الخليل إبراهيم على نفس خط الدعوة فإذا به يقول ﷺ : " ليس منا من لا يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا"(١) وفى رواية ويعط لعالمنا حقه .. ويقول أيضا : " إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم " (٢) وهذه التعاليم تشيع روح المحبة والألفة فى المجتمع الإنسانى ولك أن تتصور عند مخالفة هذه التعاليم سيشيع :

أولا : فى المجتمع الفظاظة والغلظة والقسوة والشدة .

ثانيا : ينتج عن السلوك المنحرف مجتمع منحرف .

ثالثا : تشيع فيه الرذيلة بدلا من الفضيلة ...

رابعا : يكون هذا المجتمع لا صوت له .. لأنه لا صوت يدافع عنه لأنه أسس على البغضاء والعداوة .. والفحشاء والحسد والحقد .. والكذب والغش والخيانة ..

خامسا : مع ملاحظة انه لا يكون مجتمعا مسلما .. بدليل (ليس منا) من لم يتبع هذا المنهج .

---

(١) إحياء علوم الدين : للغزالي ج٢ ص ١٩٦ .
(٢) رياض الصالحين : للإمام النووي .

من حياتي الشخصية (من تجاربي)

وللأسف رأيت بعيني في مجتمع مسلم من يضرب الشباب بالحذاء عندما نودي للصلاة .. ورأيت بعض الناس عندهم غلو في الدين فحالق اللحية كافر .. ومن أسف أن هؤلاء يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهم عالة على المجتمع الاسلامي بل هم سبب انهياره وتأخره في ركب الحضارة ..

نحن ننتظر الساعة إذا كان الأمر كذلك لأن المفاهيم انقلبت حقا إننا نذهب أنفسنا عليهم حسرات .. لأنهم يجمعون جهلا وقسوة ومالا وقوة وغباء والغريب أنك إذا أردت أن توجه أحد هؤلاء سخر منك فزاد الطين بلة ..

(ونحن لا ندعو الناس إلى الإسلام لننال منهم أجرا ، ولا نريد علوا في الأرض ولا فسادا ، ولا نريد شيئا خاصا لأنفسنا إطلاقا وحسابنا وأجرنا ليس على الناس إنما نحن ندعو الناس إلى الإسلام لأننا نحبهم ونريد لهم الخير مهما آذونا لأن هذه هي طبيعة الداعية إلى الإسلام) (١) وها هو الرسول ﷺ يقول : (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٢)

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) (٣)

اعلم أخي الداعية أن النصح ثقيل على النفس فيه مرارة مع انه دواء فكن على حذر وأنت تقدم النصيحة لأخيك المسلم وحتى لغير المسلم... استمع معي إلى يحيى بن معاذ وهو يقول :

(أحسن شئ كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رقيق) (٤)

---

(١) معالم في الطريق : سيد قطب ص ١٧٤ – دار الشرق .
(٢) رواه مسلم في صحيحة عن أبي رقية – وانظر : رياض الصالحين ص ٧٤
(٣) رياض الصالحين ص ٧٥ .
(٤) المنطلق احمد الراشد ص ٣٦ .

هل استخدم إبراهيم ﷺ العنف والإرهاب لإقناع والده بالدعوة ؟ أم هل أراد إدخالة بالقسوة والشدة .. والقوة فى التوحيد ؟؟

هل أمسك بعنق والده وزمامه قائلا لابد من إدخالك فى التوحيد ؟؟ والإيمان بما أقول ؟؟

هل تجاوز إبراهيم فى القول على أبيه وتشدق وتفيهق ؟؟ إن كل ذلك لم يحدث بل قال له : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (١)

يقول الإمام النسفي :

فانظر فى نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر ففى الحديث : أوحى الله إلى إبراهيم إنك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الابرار ، فطلب منه أولا العلة فى خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الأنبياء كان محكوما عليه بالغى المبين فكيف بمن يعبد حجرا أو شجرا لا يسمع ذكر عابده ، ولا يرى هيات عبادته ن ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضى له حاجة .

ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال إن معى شيئا من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فهب انى .. وإياك فى مس... وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنجك أن تضل وتتيه ....

ثم ثلث : -

بتهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جميع النعم منه أوقعك فى عبادة الصنم وزينها لك فأنت عابده فى الحقيقة

---

(١) سورة مريم : آية ٤٦ وحتى ٥٠ .

ثم ربع : -

بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال إنى اخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة اشياعه وأوليائه اكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه ، وصدر كل نصيحة بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ، وإشعارا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا)(١)

لقد تأدب سيدنا إبراهيم ﷺ بآداب الرحمن فسلك المسلك .. الصحيح الذى رسمه له رب العالمين ولم يثبت أنه خرج عن هذا الصراط المستقيم ، فعنف والده أورماه بالكفر وخص نفسه بالإيمان بل تأدب بما أوحاه الله إليه .

روى الإمام الطبرانى فى معجمه الاوسط بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أوحى الله إلى إبراهيم يا خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار " وفى رواية الكافر " تدخل مدخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان أظله تحت عرشى وأن أسقيه من حظيرة قدسى وأن أدنيه من جوارى " (٢)

ولم يكن ذلك خالصا بإبراهيم عليه السلام بل كان شعار الانبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه .

يقول دكتور دراز :

إن منهج الرسل عليهم السلام بعيد كل البعد عن أن يكره الضمائر ، ويعوق حرية العقيدة ، ويقف فى وجه من يعترض طريقها ، ويعرض الناس للفتنة ويقرر أن من الواجب الدعوة إلى الحق بالاسلوب

(١) تفسير النسفى : ج٣ ص ٢٩ .

(٢) حديث رقم ٦٠٦٥ ج٦ ص ٣١٥ – ط دار الحرمين بالقاهرة وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب رقم ٤٠١٩ .

المتسم بالحكمة والإقناع ، واللين ، وأن لكل فرد أن يقوم بدوره فى الشرح والتوضيح والإقناع بكل ما يعتقد أنه حق ، وللغير أن يؤمن بما يسمع أو لا يؤمن على أن لا يضيق ذرعا بحرية المؤمنين فى القيام بشعائرهم وإعطائهم ما تستحق من تبجيل (١)

فى هذا المشهد الذى عرضناه من دعوة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام دروس وعبر وعظات منها على سبيل الإجمال لا الحصر .

١ – لقد التزم الخليل بالقول اللين ، واجتهد فى ذكر الأدلة على التوحيد الخالص ، كى ينقذ والده من براثن الشرك وأليم عذابه .

٢- فى مقابل ذلك أنكر الأب توحيد الرب وقابل إبراهيم بالغلظة والشدة وعدم الرحمة فناداه باسمه مجردا فلم يقل يا بنى كما قال له يا ابت؟؟

٣ – إن موقف الداعيه وهو فى قمة الغليان والغضب موقف الأمن والأمان والسلام ؟؟ لماذا ؟؟ لأنه قال له سلام عليك هذا هو القول اللين مقابل الجفوة والغلظة والسطوة من أهل الشرك .

٤ – أضف إلى ذلك عدم يأس سيدنا إبراهيم من إسلام والده فأضاف إلى الإسلام الإستغفار أملا وترغيبا واستمالة فى قبول الدعوة وهو بذلك ناصح أمين لأنه مشفق على من يدعوه . ويا ليت دعاه العصر الحديث ينتبهون حيث يسيروا على الدرب ، ويقتدوا بالأنبياء عليهم السلام.

٥ – تبرأ سيدنا إبراهيم من والده عندما علم إصراره على الشرك .

كما يلاحظ أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يتلفظ بكلمة خبيثة سيئة سواء كان ذلك فى الرضا أو الغضب ، يا ليت دعاة العصر الحديث ياخذون العبرة والعظة والدروس التى تصلح بها النفوس المريضة ولا ينصبون الشباك لبعضهم بعضا ، إن كانوا مصلحين حقا فهذا هو

---

(١) مدخل إلى القران الكريم : سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ص ٦٢ بتصرف .

أسلوب الدعوة الرفق واللين والرحمة والحلم والصبر ... وهذا دين الأنبياء وشعار المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أجل إن في قصة سيدنا براهيم عليه السلام القدوة التي هي رأس الدعوة وعمودها ... فلقد بدأ بنفسه وعشيرته .. والرائد لا يكذب أهله فهو عامل بما يدعو إليه ... فهل أنذر الدعاة في العصر الحديث عشائرهم أم أنهم غافلون معرضون ..

إننا لا نقص ذلك للتسلية .. بل إن القصة من أساليب الدعوة إلى الله تعالى المؤثرة تأثيرا بليغا في زجر النفس البشرية عن الزيغ والهلاك فالقصة (تحرك الوجدان وتهز المشاعر وتأخذ بالألباب وتنبه النفوس فتجعلها أوعية مفتوحة يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار) (١)

في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عبر وعظات ... وصدق الله إذ يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)

وتظهر الحكمة جليلة من ورود القصص القرآني في قوله تعالى : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

ونحن نتفكر في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكيفية مجاهدته لوالده... حتى يترك عبادة الأصنام التي كانت ظاهرة إنسانية شائعة وقتئذ... ومهمة الداعي هي تغيير هذا المنكر ... فاستشعر بها سيدنا إبراهيم عليه السلام ... فبدأ يجادل الناس حتى والده كي يترك هذه العبادة ... ويتجه لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى ..

وفي العصر الحاضر ... يأخذ الداعي إلى الله عز وجل من ذلك الدروس التي تصلح بها النفوس إن شاء الله تعالى ... فيدعو إلى الله على بصيرة ... لأن الداعي إذا لم يتبع المنهج القرآني فسوف يكون عرضة للاستهزاء والضياع والتيه .

(١) تذكرة الدعاة : البهي الخولي ص ٣٥
(٢) سورة يوسف : آية رقم : ١١١ .
(٣) سورة الأعراف : آية رقم : ١٧٦ .

براءة إبراهيم من أبيه

وفى هذا الشأن أسجل أن سيدنا إبراهيم ﷺ صاحب والده بالمعروف لكنه .. عندما تبين له إصراره على الكفر تبرأ منه كما جاء ذلك واضحا فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١)

فلا مداهنة فى العقيدة ، ولا مساومة فى التوحيد ولا تهاون .. فى الإيمان بالله عز وجل : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)

قال ذلك سيدنا إبراهيم ﷺ بعدما قدم المعروف أضعافا مضاعفة وهو وديع حليم .. منيب فسيح الصدر عالما بضلال قومه .. واثقا بالله عز وجل .. فما كان جوابهم إلا الإصرار على الكفر .. فتبرأ منهم وهنا تظهر حكمة الداعية الذى استعمل اللين فى موضعه والشدة فى موضعها .. حقا إنه أوتى الحكمة وفصل الخطاب .

شرف الداعية ونزاهته :

سيدنا إبراهيم ﷺ يعيش للدعوة ويموت من أجلها وفى سبيلها يجاهد ... وعلى ضوئها يسير ... وهو بذلك لا يخشى أحدا سوى الله عز وجل ... الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ...

فهل داهن إبراهيم والده فى العقيدة ؟؟

لقد أخذه خطوة خطوة ... بالكلمة الهادئة اللينة الطيبة ... وهذا هو أسلوب التبليغ المشروع من رب العالمين ... دون زيادة أو نقص

---

(١) سورة التوبة : آية رقم : ١١٤ .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٧٨ .

فأعلن البراءة حينما علم إصرار والده على الكفر ذلك لأنه لا مساومة على العقيدة ولا عواطف حتى مع الآباء والأبناء والزوجات ... فلا يلتقي الإسلام والكفر في قلب عبد أبدا ...

وهذا لا يتنافى مع أسلوب الحكمة ... فالشدة في موضعها واللين في موضعه ... لقد أراد إبراهيم لأبيه الخير بدعوته إلى توحيد الله عز وجل ولكنه ﷺ لم يستخدم السيف أو الكلمة النابية بل إن من سنن (الأنبياء المصلحين أن يترفقوا بالناس في دعوتهم ليتألفوهم ويهونوا عليهم ترك ما اعتادوا والأخذ بما لم يعهدوا ، ولكن إذ لقيت الدعوة مكابرة وصادفت جمودا واقتضى الحال أن يصارح الداعي أهل الباطل بباطلهم في أعنف ما يكون من القول فحينذاك لا يقال إن الداعي أغلظ في دعوته أو قسا في لهجته ، فإن الداء الدفين يحتاج إلى استئصال ولا يقتلعه غير العلاج الحاسم بعد أن يكون الرفق غير مجد فيه .

وهنا لا يكون إبراهيم إلا داعيا رفيقا بأبيه حينما صارحه بقوله " إني أراك وقومك في ضلال مبين " والرفق في الدعوة مع الأخذ بجانب من الشدة حين الحاجة إليها هو المنهج المشروع في تبليغ الرسالات وهو المنهج المفروض على كل ذي دعوة يواجه الناس في شأن ديني أو دنيوي وهو المنهج الذي يلائم الفطرة لأن الإنسان إذا نشأ على نزعة أو شب على عادة فهي أحب إليه من سواها حتى يردعه عنها رادع في لين أو قسوة وذلك مفروغ منه) (¹) وجاء الرسول ﷺ ليسير على نفس المنهج فلا مساومة في العقيدة ولا مداهنه .

مهما حدث من بطش الظالمين .. وتعذيب المؤمنين .. وإيذاء الأصحاب .. والأحباب أشد الإيذاء .. ومع ذلك كان يعلن للناس جميعا (يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) متفق عليه .

وما دام القوم قد أصروا على الكفر .. وعدم قبول دعوة الحق فما كان جواب الرسول ﷺ إلا ما أنزله الله عليه إعلانا لبراءته من الشرك

---

(١) من نفحات القرآن ، عبد اللطيف السبكي ج٤ ص ١١٧ .

واهله.. قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١)

وجاء فى السيرة عن الرسول ﷺ : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) (٢) كل ذلك ناتج عن تمسكه ﷺ بما يدعوا إليه ممتثلا أمر ربه ﴿ فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (٣) والإدهان : [هو الملاينة والمداراة وهى إظهار خلاف ، مافى الضمير ، وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك مع المشركين لانهم كانوا يدعون إلى دين ابائهم او هو تعريض بغيره عن أن يطيع الكفار] (٤) فإذا تأملنا هذا النص القرانى الكريم نجد أن الإسلام رسم الطريق السوى للإنسان فى جميع ميادين الحياة ... ولم يغادر فيها صغيره ولا كبيرة ... إلا وأدلى بدلوه فيها ... ليحيا من حى عن بينه ويهلك من هلك عن بينه ...

ويتجلى لنا بقراءة النص الشريف : أن الحزم فى مثل هذه المواقف من أسس الدعوة إلى الله تعالى فعلى الداعية أن يأخذ على عاتقه بان لا يتقاعس أو يتردد فى أمر العقيدة لأنها جوهر الدين الإسلامى... وموقف الرسول ﷺ مع صناديد قريش ينم عن شجاعة باهرة وإدراك للمسئولية .. وغيرة على دين الله عز وجل ...فليحذر الدعاة الانحراف عن هذا المنهج ... والانزلاق إلى مسالك الشيطان حتى ولو كان ذلك التهاون مع الوالدين .

وصدق الله إذ يقول : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ

(١) سورة الكافرون .

(٢) ذكر ذلك الإلبانى : فى سلسلة الاحاديث الضعيفة ج٢ ص ٣٢

(٣) سور : القلم : اية ٩ ، ١٠ .

(٤) فتح القدير للشوكانى : ج٥ ص٣٦٨ .

عَلى أن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(١)

حقا إن الإسلام دين الوسطية .. ووسطية الإسلام مبنية على العدل .. في محبة الولد لوالديه .. فهي بين الإفراط والتفريط .. فانظر إلى عطف سيدنا إبراهيم وبره العظيم بوالده الذى كان يقابل كل هذا بقسوة وغلظة وعنف ومع ذلك كان سيدنا إبراهيم يستغفر لوالده بعد رفضه للدعوة .. وللتوحيد الخالص .. لكن سيدنا إبراهيم علم بعد ذلك أن الشقاوة قد سبقت عليه فامتنع عن الاستغفار له .. بل وتبرأ منه والشئ بالشئ يذكر ..

أنظر للسيدة أسماء عندما سألت الرسول ﷺ إن أمي مشركة هل أبرها ؟؟ قال لها بريها ... لماذا ؟؟؟ كل ذلك للمحافظة على الأسرة التي هي أساس المجتمع فلنتأمل ذلك كله من خلال القصص القرآني .

وبعد فهذه دروس من دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ومواقف تشرح لنا منهج الدعوة إلى الله تعالى على يد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

(١) سورة لقمان : الآيات ١٤ ، ١٥ .

منهج إبراهيم عليه السلام
فى الدعوة إلى التوحيد

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بالتوحيد لأنه أصل كل دعوة إلى الله تعالى .. وهو منهج الرسل جميعا .. من لدن آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ وها نحن نطالب الدعاة فى العصر الحديث بأن يقيدوا بهذا المنهج فى الدعوة إلى الله تعالى .. فيدعون إلى توحيد الله والإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العليا .. ومن نافلة القول أن نقول إن الله أعطى رسله وأيدهم بالآيات البينات .. حتى لا تكون لأحد حجة .. فإبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى توحيد الله عز وجل بطرق شتى ووسائل متعددة .. متدرجا معهم من الحوار الهادى .. إلى لفت الأنظار بأدب المناظر الحكيم .. كى يلفت نظر القوم إلى بديع صنع البارى سبحانه وتعالى .. فهو غيب لكنه لا يغيب .. ولا يأفل لأنه يمسك السماء أن تقع على الأرض .. ثم هو لا تأخذه سنة ولا نوم فالتوحيد (هو مفترق الطريق بين سبيل الله وسبيل الشيطان ، وبين عقيدة المسلم الخالصة ، وسائر العقائد الباطلة وحياة المسلم وحياة غيره من الناس ، هو مفرق الطريق فى التصور والاعتقاد ، والحياة والسلوك ، بين تفرد الله سبحانه وتعالى بصفة الألوهية ، وذلك الركام من التصورات الجاهلية ، التى تدعو مع الله إله آخر سواء كان حجرا أو وثنا أو شمسا أو قمراً أو كوكبا او نجما أو بشرا فلا مكان لعبودية غير الله عند المسلم ، ولا مكان للتلقى إلا منه لا فى عقيدة أو شريعة أو نظام او أخلاق او اقتصاد أو اجتماع أو أى منحى من مناحى الحياة ومن ثم كان التميز والتفرد لطبيعة الحياة الإسلامية كلها لا لطبيعة الاعتقاد وحده فالحياة الإسلامية بكل مقوماتها إنما تنبثق من حقيقية هذا التصور الإسلامى عن التوحيد الجازم ، التوحيد الذى لا يستقيم فى الضمير ما لم تتبعه آثاره العملية فى الحياة ، ومن تلقى الشريعة والتوحيد وكل شأن من شئون الحياة والتوجه إلى الله فى كل نشاط وكل اتجاه) (١)

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب ج٢ ص ٣٦٧ .

هكذا بدأ إبراهيم دعوته بالتوحيد .. فأخذ يوجه نظر القوم إلى النظر فى الآفاق .. هل هذا النجم يصلح أن يكون إلها ؟؟ استخدم إبراهيم عليه السلام شتى الأساليب حتى إنه ايتدرج مع قومه كى يلزمهم كلمة التقوى .. هل هذه الأصنام تنفع وتضر .. كيف تسبح هذه النجوم ... هذا لا يصح أن يكون إلها لماذا ؟؟

لأنه يأفل – يغيب – الإله لا يغيب .. نعم هو غيب لكنه لا يغيب .. لا تأخذه سنة ولا نوم .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١)

المنهج العقلى :

إبراهيم يلفت نظرا القوم إلى استخدام عقولهم لقد ميزكم الله على الحيوانات بالعقل فلماذا لا تفكرون به .. وتتدبرون ما أقول ؟؟ انظروا إلى هذا الكوكب مثلا فهو يظهر ويغيب ؟؟ انظروا إلى هذه الأصنام فهى لا تسمع ولا ترى ولا تفعل شيئا ؟؟

(ولئن كانت ضربة إبراهيم للأصنام دالة على قوة الإرادة وصدق النية وصلابة العزيمة فإن موقفه من عباد الكواكب أو الصابئة دال على قوة العقل ، ورجاحة الفكر .. ولم يكتف إبراهيم بالإعلان القولى عن عدم صلاحية الكواكب لتكون آلهة تعبد من دون الله تعالى بدليل حدوثها وتغيبها .. بينما الإله الحق موجود دائما .. يمسك السموات والأرض أن تزولا بل بين ذلك بالإعلان العملى ، وأسلوب القصة والمحاورة الذى أداره بينه وبين نفسه حول هذه الكواكب المعبودة ليبين عدم صلاحيتها للألوهية ، وقد بدأ بإبطال الوهيتها بادئا بإبطال الوهية أصغرها منتهيا بإبطال أكبرهم فى نظر القوم واصلا بذلك على إلزام العقل بالنتيجة الحتمية المتمثلة فى ثبوت وجود الإله الواحد الأحد ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك في ضلال مبين) (٢)

(١) سورة فاطر .
(٢) سورة الأنعام .

واستدل إبراهيم بأفوال الكواكب أو غيابها عن العين على الحدوث، ولم يستدل بطلوعها عليه مع أن الاستدلال بالطلوع على الحدوث أظهر من الإستدلال عليه بالأفول يعبدون الكواكب لاعتقادهم أن الأرواح تسكن بها وتسيرها .. ولما كانت تغيب نهارا فقد اتخذوا لها هيا كل صنعوها على صدورهم لتكون جاهزة أمامهم يعبدونها عندما تغيب أصولها لذلك قال فلما أفل ولم يقل فلما طلع) (١)

رفع الله إبراهيم بقوة الحجة ورجاحة العقل وسلامة الدليل ومن هنا حذر الإسلام من التقليد الأعمى دون إعمال العقل .. فلما قال الكفار (بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا) عاب عليهم القرآن الكريم هذا المسلك رافضا له .. موجها إلى استخدام العقل فقال عز شانه : (أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شينا ولا يهتدون) (٢)

وهكذا يحث القرآن على استخدام العقل .. فى النظر فى الأنفس والآفاق .. وهو بذلك يوقظ هذه العقول النائمة والقلوب الحائرة الغافلة كى تفكر وتعى وتتدبر .. ويلاحظ أن إبراهيم عليه السلام تدرج مع قومه فى الحوار بأساليب مختلفة .. محاولاً إقناعهم بالحق وحده .. إلا أنهم رفضوا وأصروا واستكبروا استكبارا فقال : (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) (٣)

خطأ نفاة الصفات :

ها هو إبراهيم عليه السلام يوجه نظر قومه إلى الإله الحق الذى يسمع ويرى .. وأنتم كيف تعبدون مالا يسمع ولا يبصر .. وها هو قلب إبراهيم يمتلئ إيمانا وصدقا وإخلاصا ونصحا .. ونفعا للعباد .. ومن هنا كشف عن صفات الله عز وجل فهو الشافى .. والحيى والمميت كما جاء

---

(١) من أساليب الدعوة التطبيقية : أ . د / أبو المجد نوفل – ص ٨٦ – طبعة ١٩٨٤م

(٢) سورة البقرة : آية ١٧٠ .

(٣) سورة الأنعام .

ذلك فى قوله تبارك اسمه : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١)

فها هى صفات الإله الحق سبحانه وتعالى يسمع ويبصر ويتكلم ويحيى ويميت ويطعم ولا يطعم ويشفى المرض ومن هنا فقد وقع الذين نفوا صفات الله عز وجل لانه موصوف بكل صفات الكمال والجلال وليس له مثيل ولا شبيه وهل تعلم له سميا ونحن ناخذ بكل شئ بالنسبة لله عز وجل فى ضوء قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ (٢)

(لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) (٣) فلا نشبه الله بخلقه .. ولا نمثله .. بل هو الإله الحق المنزه عن كل نقص سبحانه وتعالى ..

إبراهيم يعلم الدنيا كلها :

لقد أيقظ إبراهيم مشاعر قومه وحاول أن يحرك الساكن فى نفوسهم فأخذ ينتقل فى مجابهة قومه من دليل لآخر محاولا أن يأخذ بايديهم إلى التوحيد الصحيح إلا أن القوم فى ضلال مبين فأخذ عليه السلام أسلوبا اشد وأقوى مما سبق فأخذ يحطم هذه الأصنام كما قص ذلك القرآن الكريم قائلا :

(١) سورة الشعراء : ٦٩ - ٨٢ .
(٢) سورة الشورى .
(٣) سورة الانعام .

﴿ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٥٤} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (١)

دروس تتصل بها النفوس :

" انظر فى هذه الآيات لترى "

ها هو إبراهيم عليه السلام يعلم البشرية جمعاء كيفية الهداية إلى الخالق خالق السموات والأرض .. الواحد القهار ..

– ما فعله إبراهيم عليه السلام يلقى علينا دروسا فى الدعوة ونحن أحوج ما نكون إلى – هذه الدروس النافعات .. والعبر والعظات البالغات..

– ها هى العقيدة المتحررة .. فلا عقيدة بالإكراه ولكن بالفكر .. يشترط الفكر الراقى المستنير .. ولا يتوفر هذا إلا فى ذهن صافى .. صاحب قلب سليم .. كى يصل من نفسه إلى الإيمان الحق ..

---

(١) سورة الأنبياء : الآيات من ٥١- ٦٨ .

- يضاف إلى ذلك أنه لا يبنى إيمان على تقليد الآباء والأجداد .. وهو بذلك يأخذ بيد قومه إلى سواء السبيل .

وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين :

(إن البرهان العملى أكثر إيقاعا فى النفس وأرجى لاستجابتها لكن هذا عند أصحاب العقول الرشيدة ورؤية هؤلاء لآلهتهم مجندلة محطمة كان الأحرى أن تحدث فيهم الأثر المطلوب وهو الانصراف عنها إلى عبادة الخالق جل وعلا .. لكن أنى لهم ذلك وقد أوغل الشيطان فى أعماق نفوسهم إيغالا تمكن به من اللعب بهم والسيطرة عليهم فلم يعودوا مستطلعين إدراك حق أو صواب لقد كمن الشيطان فى نفوس قوم إبراهيم كمون الأفعى فى جحرها ، وأخذ يلعب بغرائزهم الحيوانية ويبث سموم الأنانية والاستعلاء والتكبر مظهرا عملية إبراهيم طعنا فى كيانهم وهدما لسكراتهم وعدوانا على ذواتهم ، وتحديا لإرادتهم ، فحرك فيهم غريزة الغضب وأشعل فيهم ميزان الحق ، وأوهمهم أن الآلهة رضيت لنفسها هذا لتوقع بإبراهيم غضبا عليه لتمرده عليها ، وهى لا ترضى إلا بالإنتقام منه ، وجزاء من يعتدى عليها هو أن يحرق بالنار ، لذلك بينوا سبب إحراقهم له بأنه انتصار لآلهتهم)(١)

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٢)

إن قصص الأنبياء يجلى لنا :

- طبيعة الصراع بين الحق والباطل وهى مستمرة لماذا ؟؟ لأنهما متناقضان فلا يجتمعان لو لأن وجود أحدهما نفى للآخر فلا يجتمعان .. ومن ثم فكل يثبت وجوده ... فالحرب بينهما مستمرة ..

- إبراهيم عليه السلام يبلغ رسالة ربه .. لأنه هو الذى أرسله ثم إن الغاية من الإرسال هى تبليغ الرسالة .. وها هو يبلغ ملتزما منهج الله عز وجل مهما كانت حساسية الموقف بين الداعى والمدعو ..

(١) المصدر السابق : ص ٧٥ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية ٦٨ .

يضاف إلى ذلك :

عجيب شأن هذا الإنسان إنه يقول :

أ – بأن الإله ليس موجودا ..

ب – أو أن الدين خرافة ..

جـ – أو يقلد الآباء والأجداد ..

هل عرف الإنسان ما بين جنبيه ؟؟

– لقد كشف إبراهيم عن زيف الأصنام الآلهة المزعومة إلا أن العقلية الكافرة لا تجد حجة تدفع بها الحجة فلجأت إلى الإرهاب .. إلى التطرف .. إلى العنف .

(ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) .

إن إبراهيم عليه السلام فى هذه المرحلة يتدرج فى تحديهم بأن يعلن عدم احترامه لمعبوداتهم فى الاستفهام الساخر الذى بدأ به ثم يتبع ذلك بالحكم عليهم وعلى آبائهم بالضلال ثم يعقب على هذا الحكم بأن الله المعبود هو ربهم ورب السموات والأرض ثم يتوعدهم بالكيد لأصنامهم ، ثم ينفذ ذلك الوعيد بتحطيم الأصنام ويترك كبيرهم ليتخذه مادة للسخرية منهم ، فإذا سألوه عمن حطم المتهم أجابهم ساخرا بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون وهنا بدأ كأنما هذه الصدمة قد بعثت فيهم بعض اليقظه فاتهموا أنفسهم بالظلم لأنهم لم يستعملوا عقولهم ، ولكن هذه الصحوة لم تستمر فلم يلبثوا أن عادوا إلى ما كانوا فيه ، واتخذوا من عجز الأصنام عن الكلام مبررا لهم ليواصلوا ضلالهم ، وكانوا بصنيعهم ذلك كمن يقف منكسا رأسه إلى الأسفل ورجلاه إلى أعلى فهو يرى الأمور معكوسة ولذلك استعمل القرآن الكريم تلك الكلمة المعبرة الموحية حين قال (ثم نكسوا على رؤوسهم) وهنا يسكتهم إبراهيم ويحكم عليهم بعدم العقل حين يعكفون على عبادة مالاينفع ولا يضر ، فلم يجدوا وسيلة يسكتون بها إبراهيم إلا أن يجمعوا

على إلقائه في النار لأنهم لم يجدوا من الحجة ما يستطيعون به الرد عليه، وينجي الله إبراهيم من الحريق بأن يأمر النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم) [1]

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم)

نجاح دعوة التوحيد :

حقا إن المواجهة قدر الأنبياء والمرسلين .. ودائما وأبدا النصر حليفهم .. والعزة سؤددهم .. ويندحر الباطل مهما كانت قوته وفظاعته وقسوته .. على يد إبراهيم عليه السلام .. حينما رأوه خارجا من النار سالما غانما لم يمسه سوء .. وهذا إن دل على شئ فإنما ليدل دلالة واضحة على أن الله يؤيد رسله وينصرهم على أعدائهم .. لأنه انتصار التوحيد على الشرك وأهله ... ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[2] وها هي سنة الله عز وجل .. ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا فمهما بلغت قوة الباطل عددا وعدة ، ينتصر الحق لكنه على يد من آمن واستنزل النصر المبين من القوى المتين سبحانه وتعالى فالواجب على الأمة الإسلامية في العصر الحديث أن تصطلح مع الله وأن تصلح من نفوسها .. حتى يهيئ الله لها من أمرها رشدا وهو معكم أينما كنتم .

فهو مع الجميع بعلمه وإحاطته هذه هي المعية ، لكنه مع الخاصة .. الذين هم أهل الله وإذا رؤوا ذكر الله فهو معهم بالتأكيد والنصر والتمكين إن كانوا أهلا لذلكا .

ومعهم بأن يرحمهم .. إن هم عملوا على استنزال شآبيب الرحمة من الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى فتعاونوا واعتصموا ولم يتنابزوا ولم يتنازعوا ، عندئذ يمكن لهم ما داموا قد توكلوا عليه وحده سبحانه وتعالى

---

(١) من أساليب القرآن في الدعوة : أ . د / محمد العيوطي ص ٦٢ سنة ١٤٢٤ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٨

فالنصر منه وحده لا من القوة العظمى ولا من غيرها وصدق الله إذ يقول : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(١)

أسلوب المحاجة :

من صفات الدعاة أنهم يبلغون رسالات الله عز وجل ولا يخشون احدا سواه سبحانه وتعالى .. فلقد تمتع إبراهيم بالجرأة والشجاعة فى قول الحق مع عدم الخوف إلا من الله عز وجل .. وهذا شأن المؤمن الصادق ، وانظر إلى قوة حجته عندما واجه إبراهيم هذا الطاغية .. يقول عز شانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢)

انظر رحمك الله إلى حركة الداعية وهو يتقلب فى المواجهة من أبيه إلى قومه إلى هذا الملك الجبار الذى ملك الدنيا وظن أنه يحيى ويميت وما هى كيفية الإحياء والإماته إنه يقول (أنا أحكم بقتل هذا والعفو عن هذا ، فأسكته إبراهيم بما عبر عنه الله سبحانه بقوله : (فبهت الذى كفر) (٣)

وهذا إبطال لقوله أنا أحيى وأميت .. ودليل على عجزه وإثبات أن الله على كل شئ قدير . أيها الملك المغرور إن كنت إلها كما تدعى تحيى وتميت فأت بالشمس من المغرب !! يقول بن كثير :

(فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة فى هذا المقام بهت أى أخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة والله لا يهدى القوم الظالمين أى لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٨

(٣) تفسير الطبرى : ج٥ ص ٤٣٨ تحقيق : محمود شاكر .

وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) (١) في هذه المناظرة التي جرت بين إبراهيم وهذا الملك دروس للدعاة ، منها أن إبراهيم لم يمتلك من العدة والعتاد جيشا جرارا ولا أسلحة فتاكة ولا قوة عظمى .. من ذخائر وصواريخ وسيوف وما إلى ذلك ولكنه كان يمتلئ قلبه إيمانا .. فهو متصل بالله الكبير المتعال ولذلك ظهر أثر ذلك الإيمان في عدم الخوف من مجابهة هذا الملك المغرور .

وهذا الإيمان أدى إلى النصر .. لأن النصر من عند الله لا من عند أحد .. وليست القضية بكثرة العدد والعتاد ولكن بقوة الإيمان وصدق الله إذ يقول (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) (٢)

باستقراء دعوة إبراهيم عليه السلام نخرج بدروس بليغة في العقيدة الصحيحة ونحن أحوج ما نكون لهذه الدروس لأنها أمثلة حية على الإيمان الحق .

لأنها صادرة من داعية صاحب عقيدة سليمة (إذ جاء ربه بقلب سليم)

أن إبراهيم لم يبن إيمانه على تقليد الآباء والأجداد بل هو صاحب العقيدة المتحررة نتيجة الفكر الراقي والذهن الصافي .. حتى وصل من نفسه إلى الإيمان الحق بالإله الحق .

انظر إلى شجاعة الداعية .. إن روحه كانت مفعمة بالإيمان .. الصادق .. فلم يخش طغيان هذا الطاغية .. لأنه بشر لا ينفع ولا يضر .. وعليه أن يظهر عجزه وقد كان .. وهذا قلما يوجد في العصر الحديث .

(١) تفسير بن كثير : ج١ ص ٣١٣ مكتبة الدعوة الإسلامية سنة ١٩٨٠ م
(٢) سورة الأنفال : الآيات : ٤٣- ٤٤

الدعاء سلاح المؤمن :

ها هو نبى الله إبراهيم يدعو ربه قائلا :

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء * الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (١)

فالدعاء سلاح الأنبياء والأولياء والخطباء وليس هناك تناقض بين الدعاء والقضاء ففى سنن الترمذى عن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يرد القضاء إلا الدعاء " وعن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يرد القدر إلا الدعاء "(٢) فلقد قضى أحكم الحاكمين بالبلاء على إبراهيم ولكنه رد ذلك باستغاثة إبراهيم وبتأييده سبحانه وتعالى ونصره له على أعدائه فهل امتثل السادة الدعاة هذا الأمل المفقود ؟ ومن هنا جعل إبراهيم إماما وقدوة وأمة .

إنى جاعلك للناس إماماً

قال عز شأنه : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٣)

---

(١) سورة ابراهيم : الآيات من ٣٦ – ٤١ .

(٢) رواه الترمذى فى سننه .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٥ .

يقول الله تعالى منبها على شرف إبراهيم خليله عليه السلام وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي ولهذا قال وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات أي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم أي اختياره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي فأتمهن أي قام بهن كلهن كما قال تعالى وإبراهيم الذي وفى أي وفى جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه (١)

الإمامة تكليف :

ها هو الرائد الذي لا يكذب أهله إبراهيم عليه السلام جعله الله إماما... وحمل المسئولية كاملة غير منقوصة ثم هو بشر له غرائزه فإذا به يطلب من الله عز وجل أن تكون ذريته كذلك فإذا بالحق تبارك وتعالى يضع الأمور في موضعها لأنه حكيم عليم سبحانه وتعالى فلا يليق بالإمامه إلا من كان على مستواها ولذلك قال الله .

لا ينال عهدي الظالمين

فالظالمين دائما وأبدا خرجوا عن المنهج المستقيم ولذلك لا يصح أن يكونوا أئمة في الدين لأنهم يعملون ضد الدين وضد الأخلاق .. ثم إن الإمامة تكليف لأنها حمل ثقيل .. والظالمين عنها مبعدون بفراقهم لدينهم عن ابن مسعود قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة " (٢)

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قيل يا رسول الله

---

(١) تفسير بن كثير جا ص ١٦٤ .

(٢)رواه البخاري ٦٨٧٨ ..

أفلا ننابذهم بالسيف قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة واذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة " (١)

وفى رواية " الا من ولى عليه وال فراه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة " (٢)

هناك من يتسابق إلى هذا العمل ولكن خذوا حذركم وعلى رسلكم

إياك أن تؤم قوما وهم لك كارهون ..

احذر يا عبد الله أن تكون إماما جائرا ..

الا يكفيك أن تكون الرجل الثانى بدلا من الأول ..

عليك بسعة الصدر والعفو لان موسى طلب أن يشرح الله له صدره لكن محمداً صلى الله عليه وسلم شرح الله صدره استعداداً لحمل العبء الثقيل .

وانظر إلى صفات خليل الرحمن الذى دحض الشيطان فى القران

إبراهيم عليه السلام فى القران الكريم

إبراهيم لم يك من المشركين :

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣) وهو مسلم ودينه الإسلام بدليل قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤) ولذلك هو يدعو إلى الإسلام انظر إلى قوله :

---

(١) صحيح مسلم : الإمارة رقم ٣٤٤٧ .

(٢) صحيح مسلم : الإمارة رقم ٣٤٤٧ .

(٣) سورة النحل : اية رقم ١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) سورة البقرة : الآيات من ١٢١ ، ١٣٢ .

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١) وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إبراهيم ربه قائلا :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (٢) ها هو إبراهيم قدوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عز شانه : (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .

ثم إن إبراهيم عليه السلام جد الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في السيرة النبوية فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .. بن عدنان بن .. بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.. بن نوح .. بن آدم) (٣)

لقد اتخذ الله إبراهيم خليلا .. وهو من أولى العزم من الرسل مصداقا لقوله عز شانه ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٤) ولم يك إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولم يدع إلى اليهودية أو النصرانية بل كان موحدا ولم يك من المشركين .

﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراه والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ، ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾ (٥)

(١) سورة البقرة : اية رقم : ١٢٧ .
(٢) سورة البقرة : اية رقم : ١٢٩ .
(٣) السيرة : لابن هشام ج١ ص ١٠ ، ١٢ .
(٤) سورة الأحزاب : اية رقم ٧ .
(٥) سورة ال عمران: الأيات ٦٥ ، ٦٦ .

تزعمون أنه كان على دينكم وإنما دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراه والنصرانية بعد نزول الإنجيل (وما أنزلت التوراه والإنجيل إلا من بعده) أى بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة أفلا تعقلون بطلان قولكم ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعنى فى أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراه والإنجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وليس فى كتابكم أنه كان يهوديا أو نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعنى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم وجدوا نعته فى كتابهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون فى إبراهيم وليس فى كتابكم وليس فى كتابكم ولا علم لكم به والله يعلم وأنتم لا تعلمون ثم برأ الله إبراهيم عما قالوا فقال (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) والحنيف المائل عن الأديان إلى الدين المستقيم وقيل الحنيف الذى يوحده ويحج ويضحى ويختتن ويستقبل الكعبة وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل) (١)

إبراهيم المفترى عليه فى التوراة :

لقد عرفنا إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم ومن أصدق من الله قيلا أو حديثا لا أحد بالطبع .. ولكن أهل التوراة جعلوا إبراهيم (مشركا عبد الأصنام سبعين سنة) (٢) ونظرة التوارة معروفة بالوقاحة والازدراء لأنبياء الله قاطبة وانظر لقصة ذلك فى سفر التكوين ص ١٠-١٢ فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك..

(١) مختصر تفسير البغوى ج١ ص ١٢٥ .

(٢) إظهار الحق رحمة الله الهندى ج٢ ص ٣٠٠ .

فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فضرب الرب فرعون وبيته بسبب ساراى إمرأت إبراهيم] بتصرف

وهذا ما نقله الدكتور الهاشمى تحت عنوان المقام المفترى عليه زواجه بأخته ساراى – سارة – وهذا زنى بحكم التوراه وهو مبرأ منه بمنطق القرآن والعقل ، والتوراه لا تقر النسخ إذن لتبرأ إبراهيم من جرم الزنا بزواجه بأخته وتنازله عن زوجته مرتين مرة لفرعون بحجة خوفه من القتل فى حين أن العرض أعز من الحياة لا سيما للأنبياء ، ثم ربح بها هدايا ثمينة من ذهب وفضة وجوار وحمير وجمال وغنم وبقر .. غير أن فرعون لم يمسها بسوء ، ثم تنازله عن هذه الزوجه للمرة الثانية لأبيملك فلم يمسها بسبب رؤيا حذرته منها ثم أرجعها إلى زوجها إبراهيم مع هدايا نفسية (١) هذه نظرة التوراة لإبراهيم عليه السلام .

الذى رفع علم التوحيد فى وقت ساد العالم فيه الشرك والكفر .

وفى وقت استحوذ الشيطان فيه على الناس فعبدوا كل شئ سوى الله عز وجل .

ها هو إبراهيم الذى أعلن حربا على عبادة الأصنام ولم يخش سوء الحالة الإقتصادية لأبيه .

ها هو إبراهيم عليه السلام الذى حارب الوثنية والكفر والكافرين طيلة حياته تأتى التوراه لتوجه إليه تهما ما أنزل الله بها من سلطان حقا إنهم حرفوا الكلم عن مواضعه .. ولم يحفظوا التوراه الحقيقة ولا الإنجيل ولكنهم حرفوا وبدلوا وغيروا تبعا لأهوائهم

أثر التوحيد فى النفس البشرية :

لا ريب أن أعظم سلاح يتسلح به الإنسان ضد الشدائد هو التوحيد الصحيح بمعنى أن الإنسان لا يتعلق بالناس .. أو بالأسباب المادية.. ولكن إذا أراد الإنسان أن يكون قويا فعليه بالتوكل على الحى

(١) نقلا عن فلسطين فى الميزان ص ٣٠ .

الذي لا يموت سبحانه وتعالى .. ولا يستعين إلا به ولا يعبد سواه وهذا كان حال إبراهيم عليه السلام حينما واجه قومه فضلا عن أبيه .. ثم واجه معركة حامية الوطيس (بينه وبين إسماعيل ابنه) إنه بعد أن طلب ولدا صالحا من ربه .. إذا به يرى رؤيا – ورؤيا الأنبياء وحى - انه يذبح هذا الولد .. وهذا إمتحان عسير عسير .. لا يتحمله حقا وصدقا إلا خليل الرحمن الذى قهر الشيطان .. وهنا يظهر أثر توحيد الله عز وجل فى نفس إبراهيم .. فلا حب فى قلب إبراهيم إلا لله وحده لا شريك له حتى ولو كان الولد الذى طلبه فانظر ماذا ترى قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ *وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١)

ها هو إبراهيم الخليل يبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته سبحانه وتعالى .. فيها فيهرع إلى ربه بعد أن جادل قومه .. وحاججهم وحاورهم .. وبعد أن عرف أن هذه البيئة لا تصلح للدعوة .. ولى وجهه إلى ربه سائلا الولد عله .. يتحمل معه عبء الدعوة إلى الله عز وجل (وليس غريبا أن يجيش صدر إبراهيم الخليل بهذه الأمنية الغالية فهو أولا إنسان يلبى عزيزة غالية هى حفظ النوع .. وهو ثانيا رسول مكلف بتبليغ رسالة .. وحيث انفض من حوله السامر وتآمر عليه القوم

---

(١) سورة الصافات : الآيات من ١٠٠ – ١١٣ .

فرفضوا دعوته ثم أجبروه على مغادرة الوطن .. فلم لا يطلب الولد الصالح .. لعله يحمل من بعده تبعات الرسالة فتظل كلمة التوحيد باقية فى عقبه وعندما يجاب إلى طلبه ليستطيع أن يودع الحياة بعد ذلك راضيا قرير العين مطمئن الفؤاد .

وبقدر ما فى قلبه من شوق غامر .. واستجابة لهذه العاطفة الجياشة عاطفة اب بلغ من الكبر عتيا يطلب ولدا .. تأتيه البشارة قبل المدية لتعيد إلى القلب الآمل اطمئنانه) (١) حقا إنها تملأ قلبه رضا واستشراقا للحياة وتأخذ بيده إلى سواء السبيل .

لقد جمع لنا إبراهيم عليه السلام المثل العالية الخالدة على مر الايام إلى يوم نلقى الله تعالى .. إنها ذكرى يجب علينا أن نتذكرها كى نسيطر على أهوائنا وغرائزنا وشهواتنا وعواطفنا وها هو إبراهيم يقدم رضا ربه على كل شئ وفى ذلك بصيرة للدعاة إلى الله عز وجل حيث يؤثرون أمر مولاهم على أمر دنياهم .. يقول المرحوم د / ابو المجد نوفل ولو وازنا بين طاعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لوجدنا أن طاعة إبراهيم واحدة بينما طاعة الابن طاعتان .

لكن طاعة إبراهيم اكبر شأنا لأنها جاءت عبر مجاهدات نفسية صعبة ، ومحاربة لعاطفة حب الولد ، أريد لها أن تتوارى أمام جذوة الدين، وأن تتقهقر أمام الإستجابة لله تعالى ، ولا تستقبل هوى ولا يستغلها شيطان ينال بها من عزمة إبراهيم .

هو جهاد ما بعده جهاد قهر فيه خليل الرحمن الشيطان فى أكبر معركة نفسية عرفها البشر عاطفة الأبوة فى أقصى درجاتها تتراجع أمام الدين فى صورة ؟؟؟ وامتحان رهيب وبلاء مبين إعلانا عن اثر التوحيد فى النفس البشرية صبرا وثباتا واستسلاما لأمر الله تعالى (٢)

(١) الدين والحياة : أ . د / جودة عماد ص ٢١١ .

(٢) من أساليب الدعوة : أ .د / ابو المجد نوفل ص ٨١ .

دور الابن في القصة :

الإبن المؤمن التقى النقى الطائع لله ولأبويه ابن قذف الله فى قلبه الإيمان والطهر والطاعة .. لا يعرف عقوقا ولا تمردا .. يقول له أبوه (إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) فما كان جوابه إلا أن قال على الفور (إفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) إنها إجابة النبوة المبكرة والعنصرية الفذة التى قلما يجود الزمان بمثلها .

حقا إنها دروس فى الأدب والأخلاق والتربية والتعليم .. يلقنها إبراهيم وابنه إسماعيل للدنيا كلها .

إنها دروس فى العقيدة حيث المؤمن لا يحب ولا يبغض إلا لله عز وجل ولو غضب أهل الأرض قاطبة .. المهم أن يكون عبد الله حقا .

حقا لقد كان إسماعيل (موقف الإبن) لا يقل روعة عن موقف الأب (إبراهيم) بل إن العظمة هنا فى موقف الإبن هى التى يعجب لها الإنسان عجبا يأخذ باللب ويملك مجامع القلب .

إن الاب أب فهو رجل كامل فى عقله .. وفى تجربته وخبرته بالحياة.. وهو قبل هذا وبعد نبى مرسل .. بل هو أبو الانبياء فلا عجب ان يأمره الله بأى شئ وينفذه على الفور .. اذبح ولدك .. فلم يتردد ولم يتلعثم ولم يتلكأ

أما الإبن فحاله هو العجب فهو غلام وصغير .. ولو اعرض وتمرد على امر والده لكان هناك كثير من المبررات التى تصلح اعذارا له .. ولكنه يقول (افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) أية قوة هذه وأية عظمة كانت وراء ذلك إنه التوحيد إنه مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى فها هو بصبر على هذا البلاء المبين ولا غرابة فهو نبى ثم هما معا يستسلمان لأمر الله عز وجل وهكذا المؤمن يستسلم لامر الله فى كل شئ .

يا أهل التربية والتعليم خذوا بعض هذه الذكريات والدروس النافعات وعلموها للآباء حتى يكونوا عونا لابنائهم على ان يبروهم واذكروها للمربين الذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ويطيعون أمر الله في أولادهم وهم فلذات أكبادهم علموهم راس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وها هو سهل بن عبد الله التسترى كان يقول لولده عليك أن تقول الله معي – الله شاهدى – الله رقيبى من منا يعنى باولاده قد تجيبون جميعا بانكم تعنون بهم تعلموهم فى المدارس وتلبسوهم وتطعموهم وانى لا اسال عن هذا ولكنى اسال عن تعليمكم لأولادكم دين الله وتربيتهم على الإسلام وغرس شجرة الإيمان بالله فى قلوبهم حتى يتحصنوا بهذه الشجرة ضد الدعوات الإلحادية والمذاهب الوضعية وغيرها من التى تحارب العقيدة الإسلامية لقد غفل كثير من الناس عن تعليم أبنائهم الصلاة .. مع أنهم يصلون هل تصل يا بنى .. يا أيها الولد .. ليصل ولدك وتصل زوجتك أم انك اكتفيت بركعتين أو أربع ظننت انك أرضيت الرب ومحيت الذنب ؟ إن هناك مع صلاتك صلاة أخرى انت مطالب بها بتنفيذها صلاة زوجتك وأولادك وأهلك . (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة التى طفت من خلالها على منهج الخليل إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى ... ورأينا كيف دعى والده وقومه لترك عبادة الكواكب والأصنام ورأينا كيف كانت مواجهة الداعية بحكمة القول التى منها مظاهر اللين مع أصناف المدعووين على اختلاف إدراكاتهم ومنازلهم أقول لقد وقف إبراهيم وحده أمام قومه على كثرة عددهم وعدتهم يدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى نبذ عبادة الأصنام والأوثان .. يجادلهم بالحكمة ويقارعهم بالحجة ، ويهوى على الباطل بكل ما أوتى من قوة فيحطم الأصنام وينتصر الحق وينهزم الباطل وهو فى كل ذلك معتصم بربه متوكل عليه ذاكر له فى كل خطوة يخطوها فى جهادة وكفاحه

إنه الإيمان المتدفق من قلب هذا الداعية ..

هذا الإيمان هو الذى دفعه لأن يزيل المنكر بيده ، دون خوف أو وجل بعد أن أصر القوم على كفرهم ، وتمادوا فى غيهم وعنادهم ..

وإذا كانت هذه المعركة ضد عقول جاهلة كافرة فاجرة تعبد أحجارا لا تعقل ولا تنفع فهذه معركة ثانية ضد رجل متغطرس ظالم متكبر عنيد "النمروذ بن كنعان " جعل نفسه حاكما متألها .. واتخذ نفسه إلها ، يعبده الجهلاء والغفلون .

إن العبادة لا تكون إلا لله وحده لا شريك له وأن العظمة والملك لمن بيده ملكوت السموات والأرض .

على الدعاة إلى الله تعالى أن يترسموا خطى الأنبياء عليهم السلام ..

تمتع إبراهيم عليه السلام بالصدق والوفاء والشجاعة فى قول الحق مع عدم الخوف إلا من الله عز وجل وهكذا ينبغى أن يكون الدعاة

بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام دعوته بإنذار عشيرته الأقربين ودعاهم إلى التوحيد كما هو دأب المرسلين أجمعين .

على الدعاة إلى الله تعالى دراسة البيئة التي يواجهونها حتى يستطيعوا أن ينزلوا الناس منازلهم ويدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم حتى يكونوا بلسما لكل داء قدر المستطاع.

من أساليب الدعوة أسلوب المجادلة وهو يستخدم مع المجادل المعاند ومعلوم أن من نخاطب المسلم به خلاف ما نخاطب به الكافر ..

هذا ما من الله به علي تم ما وسعه الجهد فإن يكن صوابا فمن الله عز وجل فهو وحده المسئول أن يبلغنا المأمول .. وإن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، وإن كان الخطأ سنة الله في بني الإنسان فالكمال لله وحده والنقص والقصور من صفات النفس البشرية وحسبي أنني بذلك الجهد ما استطعت

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ . د / نجاح البياع

مراجع البحث

القرآن الكريم

١- إحياء علوم الدين – الغزالى – دار الشعب .

٢- إظهار الحق رحمة الله المندى الطبعة الأولى .

٣- تفسير الفخر الرازى – التراث العربى أمام جامعة الأزهر بالدراسة .

٤- تذكرة الدعاة : البهى الخولى – دار مرجان للطبعة .

٥- تفسير الإمام الطبرى تحقيق محمود شاكر – دار الاعتصام بالإسكندرية

٦- دعوة الرسل – محمد العدوى – دار صبيح وأولاده .

٧- رياض الصالحين : للإمام النووى – دار الشروق .

٨- سنن الإمام الترمذى – دار مرجان للطباعة .

٩- السيرة : لابن هشام – دار الشروق .

١٠- صحيح مسلم بشرح الإمام النووى – دار القلم – بيروت .

١١- صحيح الإمام البخارى – مكتبة شباب الأزهر.

١٢- سنن الإمام الترمذى – دار مرجان للطباعة .

١٣- السيرة : لابن هشام – دار الشروق .

١٤- صحيح مسلم بشرح الإمام النووى – دار القلم – بيروت

١٥- صحيح الإمام البخارى – مكتبة شباب الأزهر سنة ١٩٨٣م

١٦- فى ظلال القرآن : سيد قطب – دار الشروق – الطبعة الأولى .

١٧- فتح البارى شرح صحيح البخارى – مكتبة شباب الأزهر سنة ١٩٨١م .

١٨- فتح القدير : للإمام الشوكانى – دار الإعتصام ط٢

١٩- الفوائد : لابن القيم – دار التراث العربى .

٢٠- فلسطين الميزان : د / عابد الهاشمى سنة ١٩٨١م .

٢١- من نفحات القرآن : عبد اللطيف السبكى – دار التراث العربى .

٢٢- مدخل إلى القرآن الكريم : د / محمد دراز – سلسلة مجمع البحوث الإسلامية .

٢٣- معالم فى الطريق : سيد قطب – دار الشروق ط١ .

٢٤- مختصر تفسير الإمام البغوى – دار النشر السعودية .

٢٥- من أساليب القرآن فى الدعوة : أ . د / محمد الجيوشى سنة ١١٢٥م مجمع البحوث الإسلامية .

٢٦- من أساليب الدعوة التطبيقية : أ . د / ابو المجد نوفل طبعة سنة ١٩٨٤م – دار التوفيقية .

٢٧- هداية الحيارى فى الرد على أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم – دار القيم بالكويت .

فهرس الموضوعات